بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الأستاذ خضر شحرور

## الفَألُ الحَسَن

الحمد لله، الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه وأسترشده، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله حكم فعدل وأعطى فأجزل، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي ارتضاه وإلى خير أمة أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم.

عباد الله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد﴾ [الحج: ١-٣] اللهم اجرنا منه يا رب العالمين.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: مَا زِلنَا مع الأوصاف التي يُحبها الله ورسوله، ما زِلنَا نُفتش ونبحث عن تلك الأمور التي تقربنا إلى الله ورسوله، فتَجعلنا تحت نظر المحبة، تَجعلنا مِن المحبوبين لله رب العالمين، وهذه المنزلة لا يَصل إليها إلا أولئك الذين يَحرصون على هذه المحبة التي ابتدأها الله لعباده فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾ [المائدة: ٥٤] فَقَبلَ أن تُحب ربك هو بادرك بالمحبة، هو قال لك أنه يُحب عباده، فما عليك إلا أن تكون محبوباً، لكن كيف أصل إلى هذه الدرجة، وكيف أحصل هذا المقام؟ لا بد أن نسمع الحبيب الأعظم مُحَمَّد ﷺ، أي شَيء يُحب فنُحب، ما أحب رسول الله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ يَقول في الآية التي تجري على لسانه في كتاب الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾ [آل عمران: ٣١] إذا أن تتبع رسول الله ﷺ، أن تُحب ما أحب الله ورسوله، بذلك تصل إلى هذه الغاية، والحديث الشريف الذي نقرأه اليوم يُبين سبيلاً من هذه السبل وطريقاً من هذه الطرق، فكل خُطبة نَطرق طريقاً ونذكر خبراً واحداً، لعلنا نتمثّله في حياتنا فنكون من المحبوبين، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة) [أخرجه البخاري] وكان رسول الله ﷺ يُحب الفأل الحسن) [أخرجه أحمد] وفي رواية أخرى: (كان يُحب الفأل الصحيح) إذاً رسولُ الله ﷺ يحب الفأل الحسن، يحب المتفائلين، لا يحب اليائسين ولا القانطين، اليأس ليست من صفات المؤمنين، الأمل والرجاء

والتفاؤل هو الذي ينبغي أن يتمثله المؤمن في حياته، لذلك جاء رسول الله ﷺ فنسف أعراف الجاهلية، وجعل للمسلمين عقيدة يَبنون حياتهم عليها، جاء إلى قوم يتطيرون، إلى قومٍ يتشاءمون، إلى قوم بَعيدين عن هذه المعاني الربانية، التي تدعو إلى التفاؤل، فإذا مَا خَرج أحدهم من بيته فرأى طائراً أسوداً أو رأى بومةً، كما هي رواية الحديث: (ولا هامة) فالهامة يُفسرها علماء الحديث بطائر البوم، إذ كانوا يتشاءمون منه، كانوا إذا أرادوا أن يَعزموا على سفر، أو يُقدموا على أمر، أو يَخرجوا إلى شيء، فإذا ما رأوا بوماً أو رأوا طائراً أسوداً أو رأوا شيئاً غير ذلك لَغُوا كل شيء كانوا مقدمين عليه، أوقفوا سفرهم رجعوا إلى بيوتهم، إنهم يتطيرون وإنهم يتشاءمون، فجاء الحبيب الأعظم مُحَمَّد ﷺ فقال: (لا عدوى ولا طيرة) أي هذه العدوى إذا كانت في بلد أمر أهلها أن لا يَخرجوا منه، وأمر من كان بخارجها أن لا يدخلوا إليه، عندما أصابت الطاعون بلاد الشام، إذا رسول الله ﷺ كان يقول: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة) وكان يعجبه الفأل الحسن، وفي رواية صحيحة أيضاً: (كان يحب الفأل الحسن) فإذا ما جاءه رجل اسمه يَدعو إلى التشاؤم أو يدعو إلى القسوة كان يُغير له اسمه، جاءه صعب فسماه سهلاً، وهكذا كانت حياته، كان يأتيه حرب فيسميه سلماً، وهكذا كان رسول الله ﷺ يَجعل من الأسماء محل تفاؤل، يجعل من منهاج الله الذي علم الله عباده منهجاً يَسيرون عليه، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] إذا كان الله قد دعاك إلى أن لا تقنط من رحمته، ماذا فعلت ومهما فعلت، لو بلغ ذنوبك عنان السماء، يقول: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ إذاً الله لا يحب اليائسين، والله لا يحب القانطين، يحب المتفائلين، لذلك جاء رسول الله ﷺ يُعلم الناس العقيدة، أن تُؤمن بالقضاء والقدر خَيره وشره، أن تعزم على الأمر وأن تتوكل على الله سبحانه، ﴿فإذا عَزمت فتوكل على الله﴾ [آل عمران: ١٥٩] ثم بعد ذلك دع الأقدار تجري كما أرادها الله سبحانه، تتخذ الأسباب فلا تتشاءم، تتخذ ما يطلب منك أن تفعله ثم تترك الأمر لصاحب الأمر، تترك لله الواحد القهار للمتصرف للذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض أن يتدبر أمورك، دون تشاؤم ودون أي شيء، هكذا تربى أصحاب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت مدرسته، كانت حياته مع أصحابه تدعو إلى هذا الشأن، وقد ضربنا مثالين سابقين في خطب ماضية، ضربنا حال رسول الله ﷺ وهو في غزوة الخندق، عندما اعترضته تلك الصخرة الكبيرة التي عجز عن كسرها كل صحابة رسول الله ﷺ، فيأتي رسول الله ﷺ، ويأخذ المعول ويضرب الضربة الأولى ويقول: الله أكبر، فتحت بلاد الشام، والثانية: الله أكبر،

فتحت بلاد فارس، وهكذا كان رسول الله ﷺ يُبشر ولا يُنفر، يَدعو إلى التفاؤل، إلى قوم وجدوا عدوهم أمامهم، في غزوة الخندق تجمعت العرب جميعاً، تجمع مشركو العرب وزادوا عن عشرة آلاف، تآمروا مع اليهود الذين كانوا خلف رسول الله ﷺ، وكان لا مناص أن رسول الله ﷺ وأصحابه كان بين فكي كماشة، أي سيضرب ضربة واحدة، ضربة من الأمام وضربة من الخلف، ولن يُفلت منها أبداً، ولكن رسول الله ﷺ في تلك اللحظات يُبشرهم بفتح الشام ويبشرهم بفتح خيبر ويبشرهم بفتح فارس، ويُعطي بشارات الكثيرة، إنه رسول الله ﷺ، إنه المثال الذي يَنبغي أن يُحتذى من المؤمنين.

كان رسول الله ﷺ في هجرته، وكانت سراقة كاد أن يقترب منه، ثم رَسول الله في نهاية القصة كيف بَشره بسواري كسرى وتاجه، رَجل هارب من قومه، قَومه الفقراء والعبيد والمشردون، رجل فارٌ من قومه وهو مُلاحق من قبلهم، ثم هو يَعدهم هذه الوعود، يَعد بتاج كسرى وسواريه.

أيها الإخوة: هذا حال الإيمان، هذا حال المسلم، لا يتشاءم ولا يتطير، لا يفعل شيئاً يَدعو إلى اليأس، رسول الله ﷺ استبدل ذلك كله بشيء واحد، استبدل ذلك بصلاة الاستخارة، بدل أن تتشاءم تفاءل، إذا أردت أن تُقدم على أمر مهما كان عظيماً، على تجارة، على بيع، على شراء، على زواج، على أي أمر يَعرض لك؛ انظر ماذا كان يُعلمنا رسول الله ﷺ في هذه الحالة، يقول أصحاب رسول الله ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها) [أخرجه البخاري] وهذه مِن ألفاظ التَّوكيد، كلُ الأمور دونما استثناء، إذا أراد الإنسان أن يقدم على أمر يَتوضأ ويُصلي ركعتين، ثم يدعو الدعاء المأثور المعروف عن رسول الله ﷺ، ثم يُقدم على هذا الأمر، ولا دَخْلَ هُنَا لمنام أو رؤية أو غير ذلك، لأنك عندما تُصلي الاستخارة كَأنك قلت: يا رَب، توكلت عليك، وَكَّلتك أمري، يا نعم الولي، ويا نعم النصير، ويا خير وكيل، توكلنا على الله، ثم تقدم، فإذا كان في الأمر خير يسره الله لك، ستجد السبل ميسرة وستجد الأبواب مفتوحة، وإذا كان الأمر ليس فيه خير لك ستوصد الأبواب أمامك، لأن الله هو الذي يُوصدها، ستجد العراقيل تعترض طريقك، لأن الله سبحانه وتعالى، سيصرفها عنك طالما أنك توجهت إليه، طالما أنك عَرفت أن لك رباً يُدبر الأمر، سيتدبر الله أمرك، سيصلح الله شأنك، سيصرف الله عنك السوء، هذا يَدعوك إلى العمل بتفاؤل دونما تشاؤم، فلا طَيرٌ يُثنيك عن عملك، ولا مَنظر بَشِعٌ يُثنيك عن الإقدام، تتفاءل بالخير دائماً، تفعل كما كان يُعلم رسول الله ﷺ: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)

[أخرجه البخاري] اللهم اجعلنا من المبشرين، اللهم اجعلنا من المتفائلين، واجعلنا من الفرحين عند لقاءك يوم الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

بتصرف